سوسيولوجيا الهجرة غير الشرعية لدى الشباب الجزائري

- أرزازي محمد
- جامعة وهران2 –محمد بن احمد- الجزائر.mohs1970@yahoo.fr

الملخص : تتجه هذه المساهمة نحو تأسيس مقاربة سوسيولوجية حول ظاهرة اجتماعية ، شكلت حضورا متزايدا سواء على مستوى الخطاب السياسي أو الإعلامي أو الاجتماعي ، أو ضمن سيرورة الواقع الاجتماعي الراهن ، داخل المجتمع الجزائري وا لمجتمعات المغاربية، وهي ظاهرة الهجرة غير الشرعية. لقد حاولنا أن نقارب الظاهرة انطلاقا من تجربة ميدانية تمت بولاية تلمسان وتحديدا بمنطقة الغزوات كمجال جغرافي، بالاعتماد على تقنية المقابلة نصف الموجهة مع مجموعة من الشباب ينحدرون من أصول حضرية وريفية ويتميزون بخصائص سوسيوثقافية متنوعة.

الكلمات المفتاحية: الشباب ; الهجرة غير الشرعية ; المجتمع الجزائري ; المواطنة ; الخطاب الإعلامي.

Astract :This contribution aims to establishing a sociological approach to a social phenomenon, which has been a growing presence both in the political, media or social discourse, or within the current social reality process within Algerian society and Maghreb societies, it is the phenomenon of illegal immigration. We tried to approach this phenomenon from a field experience in Tlemcen and specifically in Ghazaouet region as a geographical area, by using semi-directed interview as a methodological technique with a group of young people of urban and rural origins who are characterized by diverse socio cultural characteristics.
Keywords: youth; Illegal immigration; Algerian society; Citizenship; Media discourse.

مقدمة

في خضم الحركة السريعة للتغير الاجتماعي والأشكال المتعددة للتحولات التي أصبح يشهدها المجتمع الجزائري ، طرحت قضايا عديدة على محك المقاربات الاجتماعية ، قصد دراستها وتحليل ميكانيزماتها وخلفياتها والتداعيات التي تفرزها على المستوى الميكرو و الماكرو- سوسيولوجي . ومن بين الظواهر الاجتماعية التي أصبحت تشكل حضورا متزايدا سواء على مستوى الخطاب السياسي أو الإعلامي أو الاجتماعي ، أو ضمن سيرورة الواقع الاجتماعي الراهن ، ظاهرة الهجرة غير الشرعية أو" الحرقة" بالمفهوم العامي . هذه الظاهرة التي شغلت الرأي العام المحلي و المغاربي ، باعتبار أن المجتمعات المغاربية عموما تعايشها و بنفس الحجم و التداعيات ، دفعت الكثير من المهتمين بالشأن الاجتماعي لوضعها محل تساؤل ، و محاولة تفسيرها و تقديم قراءات متعددة الزوايا ، انطلاقا من الأبعاد المختلفة التي تنطوي عليها أو تنشأ في سياقها ، على المستوى الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي و الإعلامي وحتى النفسي كمحاولة لربط الظاهرة بالدوافع النفسية لدى الفاعلين الاجتماعيين " الحراقة ".

بعيدا عن التحليل السطحي و النظري لظاهرة الهجرة غير الشرعية و بعيدا عن معطيات المقاربة القانونية التي يحركها الهاجس الأمني بالأساس ، سوف نحاول أن نساهم في ملامسة الجوهر البنيوي للظاهرة من منظور سوسيولوجي يحركه الهاجس المعرفي أولا و أخيرا .

1- الإشكالية:

ارتبطت الهجرة غير الشرعية بفئة الشباب كفاعلين اجتماعيين داخل عملية الحراك الاجتماعي، وأصبحت مشروعا يستوجب التخطيط لتمويله ونابعا من رغبة جامحة في خوض المغامرة وتجاوز الحدود، بخلفية تمثلات فردية واجتماعية مرتبطة بصورة النجاح الاجتماعي والارتقاء الطبقي في ظروف محلية وإقليمية وعالمية ، لها علاقة بجملة من العوامل أبرزها الرغبة في تحسين المستوى المادي والاجتماعي ، والبحث عن فرصة أفضل للشغل وعن منفذ نحو عالم آخر لتحقيق الآمال والأهداف المستقبلية المنشودة.

أما عن التساؤلات التي ارتكزت عليها إشكالية الدراسة فقد تمثلت فيما يلي:

ما هي الأسباب الكامنة وراء انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى فئة الشباب، في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية العالمية والمحلية ؟

وما هي القراءات السوسيولوجية لرصد هذه الظاهرة على المستوى الماكرو والميكرو- سوسيولوجي ؟

وأي دور للإعلام في تقصي هذه الظاهرة ؟ فهل يقتصر دوره على عرض المشاهد المؤلمة والمأساوية " لقوارب الموت "، أم أنه يعد عامل تحفيز للشباب نحو الهجرة غير الشرعية ؟

2- الفرضيات:

و كمحاولة لتقديم إجابات مؤقتة عن التساؤلات المطروحة تمت صياغة الفرضيتين التاليتين:

- إن حالة الإحباط النفسي والاقتصادي كإفراز لمشكل البطالة وانعدام فرص الشغل، قد عمق دافعية الشباب اتجاه الهجرة غير الشرعية.

- إن الهجرة غير الشرعية يمكن اعتبارها كنتيجة لأزمة المواطنة في ظل دولة عاجزة عن توفير كل ما من شأنه أن يجعل المواطن يتشبث بالبقاء في وطنه و لا يرضى العيش في وطن بديل عنه.

3- المنهجية:

إذا كانت للبحث السوسيولوجي دوافعه الذاتية والموضوعية، فإن اختيار الباحث لمنهج معين وفق الخطوات المحددة، يتأسس على قناعات يتداخل فيها التكوين الثقافي المعرفي للباحث، قراءاته حول الموضوع المدروس وكذا حسه المعرفي ، كل ذلك من أجل الوصول إلى نتائج لها قيمتها العلمية والأكاديمية. لذلك تم توظيف المنهج الوصفي خلال الدراسة ، و هو منهج ملائم لطبيعة الموضوع ويعرف على أنه طريقة من طرق التحليل و التفسير بشكل علمي و منظم ، بالاعتماد على تقنية المقابلة نصف الموجهة التي هي: " تقنية مباشرة تستعمل من أجل مساءلة الأفراد سواء بكيفية منعزلة أو مساءلة جماعات بطريقة نصف موجهة تسمح بأخذ المعلومات بهدف التعرف العميق على الأشخاص المبحوثين "[1].وقد اشتمل دليلها على ثلاثة محاور، المحور الأول يتعلق بالمعطيات السوسيو-ثقافية للشباب المقبل على الهجرة غير الشرعية ، أما المحور الثاني فيمثل أسباب و دوافع الهجرة غير الشرعية، و محور ثالث يرتبط بسيرورة عملية الهجرة غير الشرعية والاستراتيجيات المرتبطة بها، و يُختم بسؤال حول تمثلات الشباب و تصوراته حول مشروع الهجرة غير الشرعية.

حاولنا أن نقارب الظاهرة انطلاقا من تجربة ميدانية، تمت بولاية تلمسان وتحديدا بمنطقة الغزوات كمجال جغرافي، من بداية شهر فبراير إلى أواخر شهر ماي 2016 كإطار زمني. تمثلت الدراسة الميدانية في إجراء 20 مقابلة نصف موجهة مع مجموعة من الشباب، تراوحت أعمارهم بين 17 و 35 سنة ، ينحدرون من أصول حضرية وريفية ويتميزون بخصائص سوسيو-ثقافية متنوعة،إضافة إلى الاعتماد على معطيات وبيانات تم جمعها من مصلحة شرطة الحدود لمدينة الغزوات.

المقاربة كانت كيفية والنتائج التي تم جمعها من الميدان كانت نوعية وتتسم بالطابع المحلي، لكن في المقابل تعكس تلك الخلفيات المتعددة والتداعيات المختلفة، التي ترتبط بتبني فئة الشباب الجزائري لخيار الهجرة غير الشرعية، كخطوة لبناء مشروع حياتي مستقبلي.

4- حالات الدراسة : قراء سوسيولوجية:

من خلال الجدول رقم (01) المرفق في جزء الملاحق –أدناه- يتضح أن فئة 20 و 30 سنة هي الأكبر حيث تقدر ب 13 مبحوث و تليها فئة أقل من 20 سنة ب 05 مبحوثين وأما فئة 31 و35 سنة فهي الأصغر حيث بلغت مبحوثين. لذلك يمكن اعتبار أن المقبل على الهجرة غير الشرعة يحتاج إلى قوة بدنية واستعدادا أكبر لتحمل مشقة التنقل و مواجهة الظروف الصعبة التي قد تعترضه عند خوضه لهذه التجربة، من جهة أخرى يمكن القول أن ما بين 20 و 30 سنة تعتبر حاسمة في حياة الشاب ، وهي فترة الطموح الاجتماعي الواسع حيث يصبح أكثر نضجا، ويحاول تحديد مسار معين لمشروع حياته وبالتالي تكون الهجرة غير الشرعية كفعل نموذجي لذلك .كما نلاحظ من خلال الجدول أن الرسوب المدرسي المبكر موجود بنسبة كبيرة ، فمعظم المبحوثين لديهم مستوى دراسيا متدنيا مما يوحي، أن للمستوى التعليمي دورا في الإقبال على الهجرة غير الشرعية .فالشاب الذي يترك مقاعد الدراسة مبكرا فإن أفق مستقبله المهني والاجتماعي قد يصبح مسدودا، مما يدفعه إلى البحث عن سبل أخرى ليرسم من خلالها معالم حياته المهنية والاجتماعية وتكون الهجرة غير الشرعية مشروعا لذلك.أما عن مكان إقامة المبحوثين فهو ينحصر في المدينة ب: 12 مبحوثا أما البقية فينحدرون من الريف ، وهذا ما يوضح أن للفضاء المديني دورا في إقبال الشباب على الهجرة غير الشرعية ، باعتبار أن المدينة مجال حيوي يوفر فرص الاحتكاك والتفاعل بين الأفراد، ويمكن الشاب من الحصول على معلومات، تتعلق بمشروع الهجرة غير الشرعية قد يتعذر الحصول عليها من الريف.

5- المفاهيم الأساسية للدراسة:

5-1 الهجرة:

تعد الهجرة من أهم العوامل المؤثرة في النمو السكاني، و تعرف بأنها انتقال الفرد أو الجماعة من مكان إلى آخر، بغرض الاستقرار في المكان الجديد، و يُستثنى من ذلك الإقامة المحددة كما في حالات الرحلات الاستكشافية و العلاج و السياحة...

و تنقسم الهجرة من حيث الاستمرار و الدوام إلى نوعين: الهجرة الدائمة و الهجرة المؤقتة.

أما من حيث اتجاهها فيمكن تقسيمها إلى :هجرة دولية- هجرة داخلية- هجرة موسمية أو دورية. وهذا النوع الأخير قد يندرج جزئيا تحت أحد النوعين السابقين [2].

2-5 الهجرة غير الشرعية:

الهجرة غير الشرعية في معناها العام هي التسلل عبر الحدود البرية و البحرية، و الإقامة بدولة أخرى بطريقة غير مشروعة. و قد تكون الهجرة في أساسها قانونية و تتحول فيما بعد إلى غير شرعية، وهو ما يعرف بالإقامة غير الشرعية. وتتضمن الهجرة غير الشرعية في مضمونها الهجرة السرية، و تعني الاجتياز غير القانوني للحدود، دخولا أو خروجا من التراب الوطني للدولة.

وظاهرة الهجرة السرية باتت ظاهرة عالمية، إذ تصنف في المرتبة الثالثة تبعا لخطورتها الإجرامية بعد المتاجرة بالمخدرات والأسلحة، و قد تفاقمت في فترة ما بعد الحرب الباردة بسبب: التطور التكنولوجي في ميدان الاتصال ووسائل النقل- المراقبة الهشة للحدود- النزاعات العرقية- النزوح القسري. [3]. هذه المظاهر الجديدة دفعت الناس إلى البحث عن حياة أفضل في بلدان أجنبية، و حفزت أنواعا مختلفة من الهجرة، فظهرت تنظيمات وعصابات إجرامية مختصة تُعرف بشبكات الهجرة السرية. وتنقسم الهجرة السرية أو غير الشرعية من الناحية القانونية إلى:

أ- محاولة الإبحار السري:

وهي تسلل الأفراد خلسة إلى الباخرة من أجل القيام بالهجرة السرية، حيث يتم إلقاء القبض عليهم من طرف فرقة شرطة الحدود عند تفتيش البواخر بالميناء.إن عملية تفتيش البواخر تتم خلال قدومها وذهابها خاصة قبل إقلاعها ومغادرتها الميناء نحو بلد آخر.

ب- الإبحار السري:

وهي حالة التلبس التي يوجد عليها الشباب " الحراق " حيث يتم إلقاء القبض عليهم وهم على متن الباخرة، خلال عملية الإبحار (أي بعد خروج الباخرة من الميناء) من طرف طاقم الباخرة ثم يتم تسليمهم لشرطة حدود الميناء للتبليغ عنهم.

ت- المعادون (المطرودون):

هم الأشخاص الذين ألقي القبض عليهم من طرف الشرطة الأجنبية (للبلد المستقبل) إما في الميناء أو خلال مدة الإقامة غير الشرعية. فيتم طردهم ويُعادون إلى بلدهم الأصلي ويسلمون إلى شرطة الحدود.

(أنظر الجدول رقم 02 في الملحق) لأخذ فكرة حول التصنيف القانوني لظاهرة الهجرة السرية، والذي تجسده الأنواع الثلاثة السالفة الذكر.

3-5 الشباب:

"إن الشباب كفئة عمرية اجتماعية بارزة في النسيج المجتمعي سواء بالنظر إلى حضورها الكلي أو اتصالاً بإشكالاتها المفتوحة على عوائق الإدماج و الثقافة" [4] قد انتهي ببعض السوسيولوجيين في نهاية السبعينات إلى تحديد عمري للشباب يتراوح ما بين 15-25 سنة، ذلك أن التعامل مع الظاهرة الشبابية من الوجهة العمرية ينطوي على كثير من اللبس والاختزال بل أنه يؤدي إلى إقصاء فئات عريضة من الشباب.

وفي ظل هذه الاختلافات لا يمكن أن نجد تعريفا واحدا للشباب، فهناك صعوبات في إيجاد تحديد واضح لهذا المفهوم [5]. ويعود ذلك لعدة أسباب: منها البيولوجي والسيكولوجي والاجتماعي.

أ- الاتجاه البيولوجي:

هذا الاتجاه يؤكد الحتمية البيولوجية باعتبارها محطة عمرية أو طورا من أطوار نمو الإنسان و الذي فيه يكتمل نضجه العضوي و الفيزيقي و كذلك نضجه العقلي و النفسي الذي يبدأ من سن 15 إلى25 سنة وهناك من يحدده من سن 13 إلى 30 سنة.

ب- الاتجاه السيكولوجي:

يرى هذا الاتجاه أن الشباب حالة عمرية تخضع لنمو بيولوجي ونفسي من جهة ولثقافة المجتمع من جهة أخرى ، بدءا من سن البلوغ وانتهاء بدخول الفرد إلى عالم الراشدين الكبار، حيث تكون قد اكتملت عمليات التطبيع الاجتماعي عبر سيرورة التنشئة الاجتماعية. هذا التعريف يحاول الدمج بين اشتراطات العمرية و الثقافية المكتسبة من المجتمع" الثابت والمتغير"

ت- الاتجاه الاجتماعي:

ينظر هذا الاتجاه للشباب "باعتباره حقيقة اجتماعية و ليس ظاهرة بيولوجية فقط. بمعنى أن هناك مجموعة من السمات و الخصائص إذا توفرت في فئة من السكان كانت هذه الفئة شبابا و أهمها حب الاستطلاع – بروز معالم استقلالية الشخصية – دائم النقد- امتلاكه لدرجة عالية من الديناميكية و الحيوية والمرونة" [6].

فالشباب إذن يمثل فترة تتردد فيها مشاعر الغربة و القوة المطلقة جنبا إلى جنب فالأولى تشتمل على العزلة و اللاواقعية و عدم الاتساق و الترابط بين العالم الشخصي و العالم الاجتماعي وهي أكثر كثافة في مرحلة الشباب عنها في أي مرحلة أخرى من مراحل حياة الشخص، و الثانية هي الإحساس بالحرية المطلقة للعيش في عالم له كل الإمكانيات؛ أو القدرة و الاقتدار على تغيير كل شيء و إنجاز أي شيء. و بذلك يصبحون أكثر إحساساً بقدرتهم على التحول كلية إلى شكل مختلف للحياة أو على خلق مجتمع جديد لا جذور له، و باختصار تبدو مشاعر الغربة و القدرة المطلقة على أنهما مرتبطتان أشد الارتباط، حيث يؤدي نفس الإحساس بالحرية و الإمكانية التي تنبع من الإحاطة بكل القيم القديمة و القيود و الأوامر و النواهي مباشرة إلى الإحساس بالعزلة و الغربة و عدم الانتماء.

6- <u>النتائج العامة للدراسة:</u>

أما عن النتائج العامة التي تم التوصل إليها من خلال الدراسة فتمثلت فيما يلي:

- ✓ إن الوضع الاقتصادي المتدني في الموطن الأصلي يدفع الناس إلى مغادرته، في نفس الوقت فإن الحالة الاقتصادية المزدهرة في المجتمع المضيف، تستقطب المهاجرين إليها بسبب التقدم و التطور الذي حققته في مجالات عدة، لذلك أصبح الشباب الجزائري يحلم بالهجرة إلى الضفة الأخرى، قصد تجاوز وضعيته الاقتصادية الصعبة. " إن انتشار البطالة وانخفاض مستوى المعيشة لا تساعد على توفير المتطلبات الضرورية للإنسان وأسرته، ولهذا يندفع إلى الخارج تفتيشاً عن مورد رزق ليحقق غايته ".[7]

إنّ حالة الإحباط النفسي الناتجة عن مشكل البطالة و انعدام فرص الشغل أو ممارسة نشاط مهني غير مستقر وبأجر زهيد لا يلبي كل الحاجيات، أدت إلى تعميق دافعية الهجرة غير الشرعية بشكل متواتر حيث باتت المقاهي مأوى للسماسرة و القناصة للشباب المغامرين نحو قوارب الموت أو قوارب النجاة. وانسجاما مع ما سبق ذكره يصرح أحد المبحوثين: «*البطالة و الفقر في المجتمع الجزائري دفعنا للوقوع في فخ اليأس و أوجد الرغبة في التغيير و الهجرة نحو الخارج*».(المقابلة رقم 19: 24 سنة، بطال). وفي هذا السياق يذكر (Febren Sijastide)فيبرين سيجاستيد: «إن الهجرة تشكل نوعا من الاستثمار في رأس المال البشري بقدر ما تقتنيه من استهداف بعض التكاليف للحصول على مقابل أعلى». [8].

ويضيف مبحوث آخر ما يلي: «*أريد الذهاب ماذا تريدونني أن أفعل في هذا البلد؟ أن أكون مستغلا مثل ميكانيكي، نجار، عامل فلاحي؟ أعمل الأسبوع كله مقابل مبلغ قليل. كيف سأعيش؟ وكيف أتكفل بعائلتي؟ هذا واضح في ذهني يجب أن أذهب*»، (المقابلة رقم 17: 22 سنة، بطال).

- ✓ الشاب الجزائري "الحراق" يحاول أن يجد لنفسه منفذا للهروب من الواقع المتأزم الذي يحياه، فيجده في الهجرة غير الشرعية، لأنه يصبح متورطا في ظروف وجوده الاجتماعي، في مأكله وملبسه ومسكنه ومشاريع

حياته، فالحياة تصبح ورطة، فبدلا من أن تكون الحياة نعمة تصبح نقمة، إذ يجد هذا الشاب نفسه مرغما على خوض المغامرة عبر قوارب الموت. والشاب يبرر إقباله على الهجرة غير الشرعية، بسبب الوضعية الاجتماعية المأساوية التي تعاني منها الأسرة و يرى أنها الحل الوحيد للتخفيف من الوضعية الأسرية الصعبة، فهو يعتبر نفسه مسؤولا عنها ومستعدا للتضحية ، وهذا ما أكده أحد المبحوثين بقوله:« *أريد أن أعيش في الهناء مع أسرتي وعندما أتزوج يجب أن أجد كل شيء متوفرا من مأكل ومشرب وملبس ... سوف أضحي من أجل تحقيق ذلك* » (المقابلة رقم 13: 27 سنة، تاجر).

- ✓ إن ضعف الرابط الاجتماعي داخل المجتمع وانخراط الفرد في الجانب المرّ من الواقع وانسداد الآفاق أمامه، يجعله يحلم بتجاوز واقعه ويبحث عن خلاصه بل ويؤمن أن خلاصه لن يتأتى إلا بالوصول إلى الضفة الأخرى مهما كان الثمن. وهذا التطلّع للعالم الآخر باعتباره محطة الخلاص يجعله يشعر بأزمة هوياتية وعلائقية في آن معا، إن هذه الفكرة تؤكدها بعض تصريحات المبحوثين التي أجمعت على أن العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، أصبحت علاقات براغماتية تقوم على أساس المادة ، الأمر الذي دفع بالشاب الجزائري ليعيش في حالة من الإحباط و عدم الرضى عن الأوضاع السائدة في مجتمعه . يقول أحد المبحوثين: « في هذه البلاد أصبح كل واحد يفكر في نفسه ما بقي لا صاحب ولا صديق صاحبك هو جيبك المقياس الوحيد الذي يُقيم به الإنسان هو المال والذي لا يملك المال لا قيمة له» (المقابلة رقم 02: 35 سنة، سائق سيارة أجرة). إن هذا التحول الاجتماعي في العلاقات، صاحبه بروز ظواهر سلبية كالتهميش، الرشوة،المحسوبية...الخ، وهي كلها عوامل محفزة لتبني خيار الهجرة غير الشرعية من أجل مستقبل أفضل.
- ✓ إن مفهوم الممارسة حسب بيار بورديو يجسد تمثّل القواعد واستعدادات الفعل في اتجاه معين، مما يفرز ممارسات تجسد أفكارا مميزة لثقافة ينتمي إليها الفرد، فالشاب الذي ينتمي إلى أصل اجتماعي معين ويعيش داخل وسط معين"الحي" ، يقتبس من روح الجماعة، جماعة الأقران الذين ينتمون إلى نفس الطبقة الاجتماعية ويعيشون نفس الظروف المتماثلة ويعيشون وضعا مهنيا غير مستقر، تجعله يتبنّى قيم الجماعة وتتسرب لديه روح المغامرة عبر اتفاقية الحي/ المقهى وخلق علاقات فرعية مستقلة عن الأسرة، ورسم معالم واقع مستقبلي مغاير لما هو سائد، يُعبر عنه بكلمة "مشروع جماعة الرفاق" .
- ✓ إن تراجع مفهوم المواطنة شجّع حالة انعدام التوازن النفسي لدى الشباب وأثّر في طغيان شكل الفعل اللاشرعي في ممارسة هؤلاء المهاجرين، الذين تربطهم روح الصداقة " روح الجماعة "، لذلك فإن الهجرة غير الشرعية يمكن اعتبارها نتيجة لأزمة المواطنة تعكس عجز الدولة في أن توفر ما يجعل المواطن يتشبث بالبقاء في وطنه وتدفع به إلى البحث عن وطن بديل إما بشكل مؤقت أو بشكل دائم. وترتبط هذه الأزمة بفكرة الوطن الذي يوفر للفرد الإحساس بالانتماء لهوية جماعية تمنحه ما يحتاجه من اعتراف واحترام. إن من بين الحقوق الأساسية التي تضمن للمواطن العيش الكريم والأمان، هو استفادته من سكن يأويه مع عائلته وإلا فلن يكون الوضع إلا كما عبر عنه أحد المبحوثين بقوله: « تعلمنا في المدرسة الابتدائية

محفوظة تقول: وطني وطني فيه سكني. فكيف أبقى في وطن لا يوفر لي سكنا؟ حتى ولو كان عبارة عن غرفة ومطبخ» (المقابلة رقم 15: 31 سنة، عامل يومي).

- ✓ إن الهجرة كظاهرة ليست مجرد نقلة جسدية من موطن إلى آخر، وإنما هي أيضاً موقف عقلي واتجاه ذهني وتوجه نفسي من الشخص ذاته، إضافة إلى الدور الكبير الذي تلعبه وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري، في تشكيل الطموحات لدى فئة الشباب وخاصة منهم المراهقين، فلا يقتصر دورها فقط على تصوير المشاهد المأساوية لقوارب الموت التي تحمل شبابنا، بل تتحمل مسؤولية تعميق انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية، من خلال إسهامها في عولمة الثقافة وتضخيمها لصورة " الآخر" وتعظيمها، عبر الصورة والتقنيات الحديثة للثورة التكنولوجية الهائلة.
- ✓ الخطاب الديني أصبح يعالج ظاهرة الهجرة غير الشرعية من منطلق التحريم، فقد صدرت فتاوى من جهات رسمية وغير رسمية تحرم الإقدام على هذا السلوك المحفوف بالمخاطر، استنادا إلى المرجعية الإسلامية التي تنهى عن إلقاء النفس إلى التهلكة، بل وتجعله من أكبر الكبائر.

خاتمة:

إن ظاهرة الهجرة غير الشرعية داخل المجتمع الجزائري عموما، وعلى مستوى ولاية تلمسان بشكل خاص تظل حقيقة سوسيولوجية بارزة وواقع اجتماعي لا يمكن تجاهله أو القفز عليه، إنها تفرض على الباحث حسا معرفيا ووعيا اجتماعيا شاملا محيطا بجميع أبعادها وخلفياتها والعوامل المتعددة التي أنتجتها والتداعيات المختلفة التي تفرزها والتي تطال المجتمع على المستوى الميكرو والماكرو- سوسيولوجي.

ومن هذا المنطلق فإن محددات الهجرة غير الشرعية متعددة ومتباينة، كما أن الإجراءات القانونية والردعية لا يمكن أن تكون فاعلة إلا إذا واكبتها إجراءات مصاحبة للتأثير على العوامل التي أنتجتها في إطار مقاربة شاملة، تضع في الحسبان مختلف الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وفي هذا السياق يلخص العالم الديمغرافي الفرنسي ألفريد صوفي Alfred Sauvy إشكالية الهجرة بشكل عام بقوله "إما أن ترحل الثروات حيث يوجد البشر وإما أن يرحل البشر حيث توجد الثروات." [(9)].

وختاما لابد من الوقوف عند حقيقة معينة: أن الشاب المهاجر يواجه خيار الهجرة غير الشرعية بين نوعين من الموت، كما يصفهما الشاعر الفرنسي" ادموند هاروكور" قائلا : "أن نغادر معناه أن نموت قليلا ، وأن نبقى معناه أن نموت كثيرا ".

الاحالات و الهوامش :

1 - أنجرس موريس، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، ترجمة : بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة، الجزائر، 2004،ص 197.

2 - عبد الله عطوي، الإنسان و البيئة في المجتمعات البدائية و النامية و المتطورة، ط1، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت،1993، ص 142 .

3 - عمران أبو حجلة، حالات فوضى- الآثار الاجتماعية للعولمة- مراجعة هشام عبد الله، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997، ص.ص. 91- 92.

4- Goffman Emile, Problèmes de la jeunesse, Ed. Maspero, paris, 1972, p48.

5- Olivier Galland, Sociologie de la jeunesse, Armand Colin, Paris, p49.

6- عبد الرحمان الوافي، في سيكولوجية الشباب، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، الإسكندرية، 2002، ص33.

7- سامية بيبرس، الكونغو ما بعد كابيلا- الأوضاع الراهنة واحتمالات المستقبل، مجلة أفاق إفريقية، العدد 04 ، 2000 ، ص 104. 8- عبد الغني محمد أحمد، الهجرة السرية كظاهرة اجتماعية، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 169، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، سبتمبر 2000.

9- محمد الخشاني، أسباب الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا
http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/40d65cc9-4cc5-41a4-b718-6656b133f208(Consulté le 09-03-2016).

ملحق:

جدول رقم**01** يمثل الخصائص السوسيوثقافية للمقبلين على الهجرة غير الشرعية

المبحوثين	السن	المستوى الدراسي	المهنة	مكان الإقامة
المبحوث 01	26سنة	التاسعة متوسط	عامل يومي	حضري
المبحوث 02	35سنة	التاسعة متوسط	سائق سيارة أجرة	حضري
المبحوث 03	24سنة	السادسة ابتدائي	ميكانيكي	حضري
المبحوث 04	23سنة	الخامسة ابتدائي	بطال	ريفي
المبحوث 05	25سنة	السادسة ابتدائي	عامل يومي	ريفي
المبحوث 06	24سنة	الخامسة ابتدائي	نجار	حضري
المبحوث 07	19سنة	السابعة أساسي	عامل يومي	حضري
المبحوث 08	28سنة	السابعة أساسي	عامل يومي	ريفي
المبحوث 09	26سنة	الثانية ثانوي	نجار	ريفي
المبحوث 10	19سنة	الثامنة أساسي	عامل يومي	حضري
المبحوث 11	27سنة	الثانية ابتدائي	خضار	ريفي
المبحوث 12	19سنة	الخامسة ابتدائي	خضار	حضري
المبحوث 13	27سنة	السابعة أساسي	تاجر	ريفي
المبحوث 14	19سنة	الثانية ابتدائي	بطال	حضري
المبحوث 15	31سنة	السادسة ابتدائي	عامل يومي	حضري

المبحوث 16	17سنة	السابعة أساسي	عامل يومي	حضري
المبحوث 17	22سنة	الأولى ثانوي	بطال	حضري
المبحوث 18	18سنة	الخامسة ابتدائي	ميكانيكي	ريفي
المبحوث 19	24سنة	الثانية ابتدائي	بطال	حضري
المبحوث 20	23سنة	السادسة ابتدائي	بطال	حضري

جدول رقم 02: يمثل الإحصائيات التي تم جمعها من مصلحة شرطة الحدود لدائرة الغزوات

	2012	2013	2014	2015	2016
محاولة الإبحار السري	/	/	55	19	55
الإبحار السري	/	/	108	88	45
المعادون أو المطرودون	200	140	134	180	116